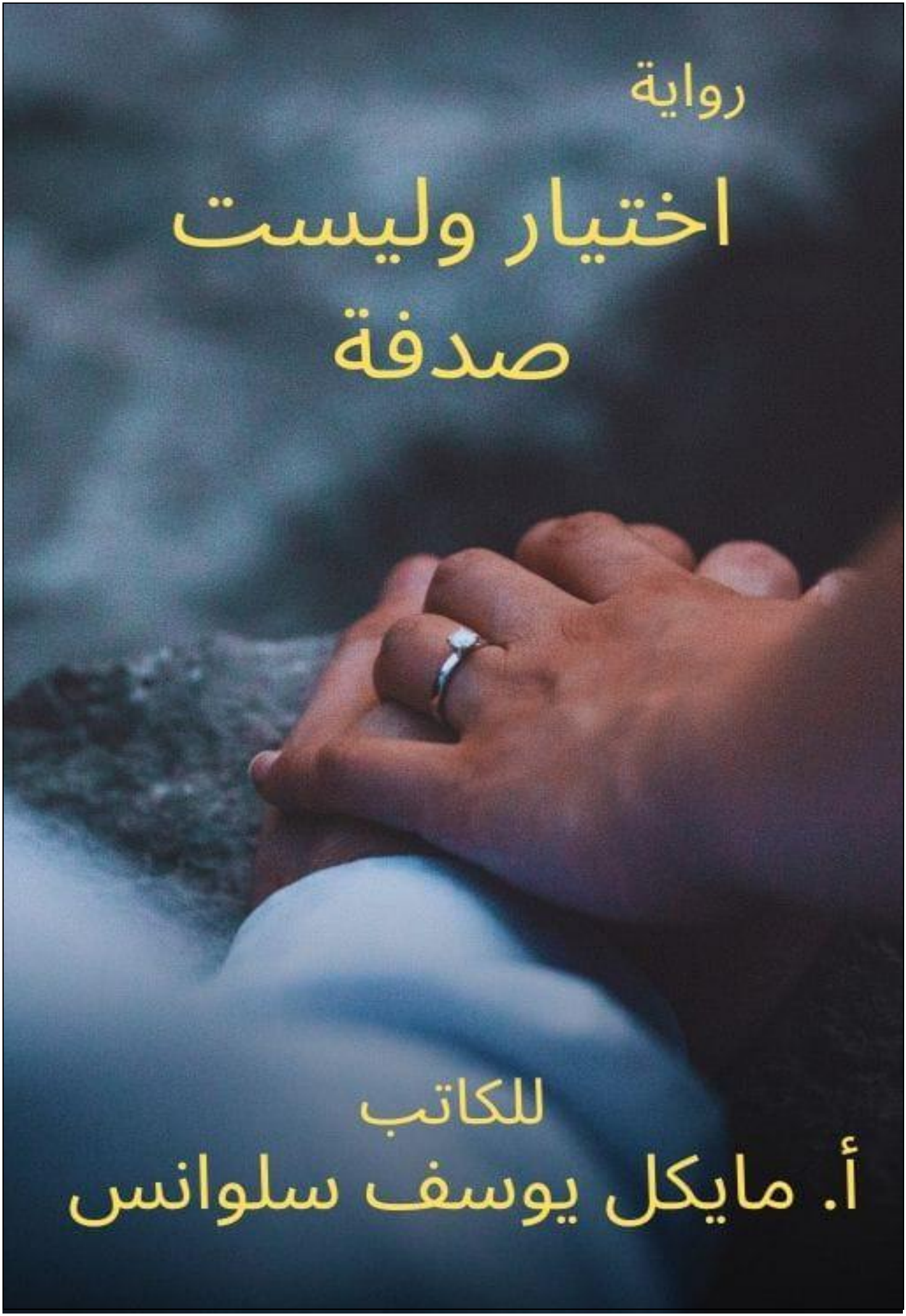
رواية
اختيار وليست صدفة
للكاتب
أ. مايكل يوسف سلوانس

بيانات الرواية

اسم الرواية :

اختيار وليست صدفة

اسم الكاتب :

أ. مايكل يوسف سلوانس

مراجعة لغوية :

د. أحمد السيد عمار

اثبات تاريخ الرواية :

١٤/ ٥/ ٢٠٢٣م

" الفصل الأول "

* البداية :

ميرا شابة متوسطة الطول والجمال أيضًا ، تبلغ من العمر حوالى ٢١ عامًا ، كانت تعيش مع والديها وتحبهما كثيرًا ، أصيبت الأم بجلطة حادة جعلتها طريحة الفراش ، واليوم هو يوم تخرجها من الجامعة ، حيث فرح بها الأب كثيرًا .

الأب : أخيرًا يا حبيبتي جاء اليوم الذي كبرتِ فيه وتخرجتِ من الكلية ، ألف مبروك يا بنتي .

ميرا : الله يبارك فيك يا والدي .

الأب : إن نصف الحلم قد تحقق ، ومازلت أنتظر النصف الآخر .

ميرا : ماذا تقصد يا أبي ؟

الأب : أقصد أن أراك عروسة سعيدة مع زوجك شريك حياتك .

ميرا بخجل : إن شاء الله يا بابا ، ادع لي أن يرزقني الله بابن الحلال .

الأب بثقة : موجود يا ابنتي .

ميرا باندهاش : موجود أين ؟

الأب : كلمني صديقي اليوم عن شاب يبلغ من العمر حوالي ٢٥ عامًا ، يعمل مهندسًا في أحد المصانع الاستثمارية ، ويمتاز بحسن الأخلاق ، علاوة على ذلك أن لديه شقة .

ميرا : وما رأي حضرتك يا والدي العزيز ؟

الأب : من وجهة نظري الشخصية هو شاب ممتاز من حيث المواصفات ، ومناسب لك جدًّا ، كما أن فرق السن بينكما ليس بكبير ، وهذا يجعلكما قريبين من بعض أكثر، لأنكما تعيشان فى نفس المرحلة العمرية تقريبًا . فإذا استرحتِ له فيمكننا قبوله .

ميرا : حسنًا يا أبي إذا كانت هذه وجهة نظرك ، فأنا موافقة عليها .

اتصل الأب بصديقه وبشره بالموافقة المبدئية على العريس، طالبًا فى ذلك تحديد موعد للمقابلة معه .

ذهبت ميرا مع أبيها للقاء العريس ، دخلا معًا إلى إحدى الكافتيريات ، حيث قام باستقبالهما شاب وسيم يرتدي بدلة سوداء أنيقة جدًّا ، بينما كانت الفتاة ترتدي فستانًا ملونًا جعلها أكثر أنوثة ، كان الفستان محتشمًا ، ليس لأنها تسير مع أبيها فحسب ، أو أنها تريد أن تظهر هكذا أمام عريسها ، ولكنها تربت على الحشمة والوقار والأخلاق الحسنة .

ابتسم الشاب وصافح الأب بحرارة ، ثم أومأ برأسه بالترحاب نحو الفتاة .

الشاب : مرحبًا بك يا عمي ، سعدت بلقائك .

الأب : ونحن أيضًا سعدنا بك يا ابني .

الشاب : تفضل بالجلوس يا عمي .

الأب : على الرحب والسعة يا ابني .

جلس الجميع على منضدة واحدة ، الأب والابنة والشاب ووالداه. وبدأ الجميع بالتعارف والترحاب ، ثم نظرت أم ذلك الشاب لأبي ميرا وقالت له : بعد إذن حضرتك طبعًا ، سيأخذ ابني نادر الآنسة لكي يتحدثا معًا .

ابتسم الأب وأجاب بالموافقة .

فأخذ نادر الفتاة وجلسا على منضدة أخرى قريبة منهم. كانت الفتاة فى توتر جدًّا ، وخجل شديد واضح على ملامح وجهها ، فعلى الرغم من أنها كانت فى الجامعة تتعامل مع زملائها الرجال، إلا أن الوضع هنا كان مختلفًا تمامًا ، فهي لأول مرة فى حياتها تجلس بمفردها مع شاب غريب عنها . لم يدم الحوار كثيرًا ، ربما لحوالي ثلاثين دقيقة فقط ، تحدث فيها نادر عن ظروفه وطبيعة عمله . ولم تتحدث هي عن شيء ، بل اكتفت بالسماع والإنصات له باهتمام .

وهنا نادى الأب على ابنته قائلاً : هيا بنا يا ميرا ، لأن الوقت قد تأخر ، مع إنها كانت التاسعة مساء....!

لم تكن هناك فترة تعارف بينهما ، ولا حتى لقاء آخر ، لأن هذا الوضع غير جائز بالمرة فى عائلة محافظة لأبعد الحدود ، فثلاثون دقيقة فقط كفيلة لأخذ القرار النهائي بشأن موضوع الارتباط ، مجرد نصف ساعة كافية جدًّا لتحديد قرار مصيري ..! بعدها تمت الخطوبة سريعًا دون أي مقدمات ، فالأب مقتنع جدًّا بالعريس ، والفتاة تثق جدًّا فى كلام أبيها ، تعلم أنه يحبها ويخاف عليها ويعرف مصلحتها .

بعد عدة أسابيع قليلة ظهرت مشكلة كبيرة . تقول ميرا : كانت أمه سيدة متسلطة جدًّا ، كان لديها اعتقاد بأنني جئت لآخذ ابنها منها ، ولأبعده عنها . بدأت المشاكل تحدث بيننا بدون سبب واضح يستحق الذكر ، كان محور مشاكلنا والدته ، دائما يقول لي : لماذا لم تسألي عنها ؟ ، لماذا لم تكلميها في الهاتف ؟ ، وأشياء من هذا القبيل .

ظلت أمه تشعل العداوة بيننا ، ولكنها لم تصارحني بذلك قطّ، وإنما اكتفت بإشعال نيران الفتنة بيني وبينه ، كانت تقنعه بأنني متكبرة عليها جدًّا ، ولا أحترمها أو أهتم بها ، وللأسف كان هو مصدقًا قولها، علاوة علي ذلك أنني لم أشعر تجاهه بأي عاطفة مطلقًا . وتحدثت مع أختي بسبب هذه المشكلة ، فأخبرتني أن العاطفة حتمًا ستأتي ولكنها مؤجلة قليلاً لربما بعد الزواج ....!

لم أقتنع بكلامها لأنني مثل أي فتاة تريد أن تُحب وتُحَبّ، مما جعل حالتي النفسية تسوء كثيرًا، فلم أعد أشعر بالارتياح مطلقًا ، خصوصًا أنني كنت أبحث عن العاطفة التى لم أجدها أو أشعر بها معه ، فهو كان مجرد عقل خالٍ من الروح .

لم تعرف ميرا ماذا تفعل ؟ فطال البعاد ، وكثرت فترات الخصام التى كان يفتعلها نادر . هل تصارحه بأنها هي أيضًا لا تحبه ؟ أم تخبر أباها بما يفعله هو معها ؟

ظل هذا الصراع النفسي بداخلها لعدة أسابيع ، ثم قررت أن تواجه أباها وتخبره بالحقيقة .

*** الأب مع ميرا :**

الأب : أشعر أنك مختلفة عن أمس وأول أمس .

ميرا : نعم أنا أيضًا أشعر بهذا التغيير نحو الأسوأ .

الأب : هل حدث شيء بينكما ؟

ميرا : لقد زادت فترات الخصام كثيرًا بيننا دون أي سبب واضح ، ربما بسبب والدته التى يريدني أن أحدثها ليلاً ونهاراً وأقوم بالتودد والتقرب منها ، مع أنك تعلم جيدًا بأنني لست اجتماعية بالمرة ، ولا أهتم سوي بوالدتي المريضة ، لأنها أكثر إنسانة فى الوجود تستحق الرعاية .

الأب: دعيني أحدثه فى هذا الأمر، وإذا تكرر مرة أخرى فسوف يكون لنا وقفة معه.

ميرا : سامحني يا أبي لا أريد التحدث مرة أخرى سواء معه أو فى ذلك الموضوع أصلاً . كيف يطاوعه قلبه ويخاصمني بالأيام ؟ هل تعتقد أن هذا مؤشر جيد للاستمرار معه ؟

الأب : كنت أتمني أن تستمر هذه الخطوبة ، وأن أفرح بك وأنا مازلت على قيد الحياة .

ميرا : فليعطك الله الصحة والعافية ، ويبارك لنا في عمرك يا أبي الغالي .

الأب : أشكرك يا ابنتي العزيزة ، لتكن رغبتك أنت، لا رغبتي ، فليس كل ما يتمناه المرء يناله .

وتم فسخ الخطبة ، وقررت ميرا فى داخل نفسها : أن العقل وحده لا يصلح للارتباط الناجح ، وإنما لابد من البحث عن زواج العاطفة المبني على الحب ، حتى تكون سعيدة ، هكذا كان يخيل إليها .

بعد عدة شهور تعب الأب جدًّا ، وساءت حالته الصحية، وذهبت به ميرا إلى الطبيب .

*** ميرا مع الطبيب :**

ميرا : خير يا دكتور طمني .

الطبيب : خير إن شاء الله ، منذ متى ودرجة حرارته مرتفعة هكذا ؟

ميرا : منذ حوالى أسبوع تقريبًا .

الطبيب : هل السخونة منتظمة أم متقطعة ؟

ميرا : متقطعة يا دكتور .

الطبيب : آه . حسنًا. سنضطر لسحب عينة دم أخرى، نظرًا لإنني أشك في شيء ما

ميرا : ما الذي تشك فيه يا دكتور ؟

الطبيب : لا أستطيع التحدث الآن قبل ما أطلع على نتائج التحاليل .

ذهبت الفتاة في قلق وحيرة ، في محاولة بائسة لتخمين نوع المرض الذي أصاب الأب . وبعد عدة أيام عادت إلي الطبيب المعالج " الدكتور حسام " الذي نظر في التحاليل مليًّا كأنه يخاف أن يصرح بما بها وظل صامتًا يتأمل التحاليل والأشعات بصمت يقتلها، صمت لحظات مرت بها كأنها قرون وقرون من العذاب، حتي

استجمعت قوتها وسألته بصوت خافت " خير يا دكتور " ، حتي جاوبها : للأسف مثلما توقعت بالضبط . هل كان مصابًا بالبلهارسيا من قبل ؟

ميرا : نعم أصيب بها ، ولكن منذ زمن بعيد ، عندما كان طفلاً صغيرًا ، ولكنه تعالج منها وشفي تمامًا من هذا المرض .

الطبيب : للأسف إن نتائج التحاليل الطبية أظهرت لنا : أن فيرس (C) إيجابي ، وهذا نتيجة طبيعية لما حدث له منذ الصغر ، لأن الإحصائيات تؤكد لنا أن أكثر إناس عرضة لهذا المرض ، هم الذين قد سبق لهم الإصابة بالبلهارسيا .

حزنت ميرا جدًّا بعد سماع كلام الطبيب، ففيرس(C) المسمي بالتهاب الكبد الوبائي لم يكن له بروتكول علاج وقتها ، فالمرض غير معروف ، فلم يكن منتشرًا مثل الآن ، وهذا يعني أن الكبد حتمًا سيتليف مع مرور الزمن ، دون أي مقاومة طبية ، فلا يوجد ما يحجم ذلك المرض اللعين ، الأمر الذي جعل حياته معرضة للخطر . ظل الأب يقاوم سنوات قليلة جدًّا حتى مات ....

مات الأب ومات معه كل شيء ، مات الظهر والسند ، مات الجبل الشامخ الذي كانت ميرا تلجأ إليه . مات الحصن العظيم التى كانت تحتمي به . فالذي يذهب هناك لا يمكنه العودة إلى هنا يا صديقي .

تقول ميرا : لقد رحل آخر سند لى في الحياة ، ها هو قد تركني ورحل للأبد . كانت الدموع تترقرق فى عيني ، وشعرت بالوحدة بعد وفاة أبي ، وشعرت بالألم يغمرني طوال السنوات .

لم يطرأ شيء جديد على حياتي ، فالواقع كما هو لا يتغير منه شيء ، بل أخذت حالة أمي الصحية تسوء يومًا بعد يوم . وكل ما كان يمر من الوقت كانت تتعلق بي أكثر ، مثل طفلة متعلقة بأمها ، لم تكن هي أمي بل أنا التى كنت أمها ، فقد أصبحت أنا عالمها وهى عالمى، لأن أختى قد تزوجت وبعدت عنا بحكم سكنها.

بعد وفاة أبي بحوالى عام . تم تعييني في شركة أدوية ، وهناك تعرفت على شاب كان معى فى العمل ، كثيرًا ما كان يشاغلني مما جعلني أعجب به ، كان قريبًا جدًّا من عمري فالفرق بيننا حوالي سنة واحدة فقط ، كان تعليمه متوسطًا ، لم يكن يمتلك شقة ، لأنه كان فقيرًا ، كان غير مناسب لي بالمرة ، فهناك فوارق اجتماعية وعلمية بيننا كثيرة ، إلا أنني ظننت أن الحب وحده يصنع المعجزات ، فسيكون لى سندًا وعوضًا عن أبي رحمه الله ، اتفقنا على أنه إذا تأخر موعد استلام السكن ، فسوف

نقوم باستئجار شقة حتى نتزوج بها ، بعد عدة أسابيع قليلة نشبت بيننا منازعات كثيرة في شأن هذا الموضوع .

*** ميرا مع شادي :**

شادي : لماذا لم تخبريني حتى الآن بما يجب أن نفعله ؟

ميرا : من أية ناحية بالضبط ؟

شادي : من ناحية موضوع الشقة .

ميرا : ماذا تريد أن أفعل إذن ؟

شادي باندهاش شديد : ألم تقولي لى بأنك ستحدثين أمك بشأن السكن فى المنزل معها ، لحين استلام شقتي التى قدمت عليها منذ عدة أعوام ....!

ميرا : آه، صدقني سأحدثها ولكنني أنتظر الوقت المناسب فقط .

شادي بانفعال : متى سيأتى الوقت المناسب إذن ؟ أنا أريد أن أعرف رأسي من قدمي .

ميرا : عليك أن تتحلى بالصبر يا شادي .

شادي بزهق : لا يوجد عندي استعداد أن أستأجر شقة بمبلغ باهظ الثمن وشقة أمك موجودة . ولماذا أقيم فى مفروش ؟ وأنتِ لا تسكنين فيه ...! بل ستظلين بجوار أمك ترعينها لأنها مريضة .

ميرا : من فضلك اهدأ قليلاً ، لماذا الصوت العالى ؟ وما الذي حدث لهذا كله ؟

شادي بانفعال : أنتِ مغيبة حقًّا ، ولا تدرين بما يحدث حولنا ، فأنا الذي سأنفق جميع أموالى ، وسأحترق بنار وغلاء أسعار المفروش . انظري آخر هذا الكلام إما أن أستأجر شقة مفروشة وتقيمي معى دائمًا ، أو أمك توافق بأن نتزوج معها لحين استلام شقتي ، ولكن ليس عندي أي أستعداد لأن أتزوج مع إيقاف التنفيذ وأن أنفق أموالى دون جدوى.

لم أتحدث معه ، وإنما اكتفيت بالبكاء فقط كطفلة صغيرة فقدت سندها تشعر أنها ليس لها حول ولا قوة ، تشعر باليأس ، وقلة الحيلة والضعف ، لم يرحم دموعى بل أخذ يتهكم علىَ بكلمات قاسية جدًّا ، بدأت علاقتنا تسوء يومًا بعد يوم كان هو أنانيًّا جدًّا لا يفكر إلا فى نفسه فقط . بينما أنا كنت أفكر فى والدتي التى ليس لها أحد فى

الدنيا إلا أنا، لمن أتركها ؟ من من الناس أئتمنه عليها، وهل يوجد من يرعاها ويخاف عليها غيري؟ .

بدأت أشعر بالضغط النفسي والعصبي الشديد خصوصًا بعد رفض أمي لفكرة إقامته معنا بسبب بعض التحفظات الخاصة بها .

شادي : لماذا رفضت أمك هذا الاقتراح ؟

ميرا : هي حرة فى ملكها ومنزلها يا شادي . فهى تقول إنها غير مستريحة لهذا الوضع .

شادي : آه . قلتِ لى إنها غير مرتاحة لهذا الوضع ، وعندما أترمي أنا فى مفروش هل ستستريح إذن ؟ أقول لك شيئًا آخر سأظل راهنك هكذا عدة سنوات لحين استلام شقتي من الحكومة ، فأنا غير مستعجل بالمرة .....

ميرا : حسناً قل لى ماذا أقدر أن أفعل ؟ أنا كلمتها مثلما طلبت مني وهي رفضت.

قاطعها شادي بانفعال شديد : لا تفعلى شيئًا منذ الحين ، فأنا الذي سأفعل كل شيء .

ميرا باستغراب : ماذا تقصد إذن ؟

شادي : إذا كنت تريديني حقًّا فلنتزوج إذن فى مفروش بعيدًا عنها عقابًا لها .

ميرا : شادي ، لاحظ أن التى تتحدث عنها بهذا الأسلوب هي أمي ، أنا لا أستطيع أن أتركها وحيدة وهي مرتبطة بى جدًّا .

شادي : حسنًا يا ميرا إننا لن نتركها ، ولكننا سنودعها فى دار مسنين حتى يراعونها هناك ، وبهذا سنكون أوجدنا حلا للمشكلتين ، مشكلة أزمة الإسكان ، ورعاية أمك المريضة .

ميرا : ما الذي تقوله هذا يا شادي ؟ هل أنت واع بعقلك ؟

شادي : بكل تأكيد طبعًا ، ولا يوجد عندي أي حلول أخرى ، وعليك إذن أن تختاري .

بالطبع لم ترق لى الفكرة بجملتها ، كيف ألقي بأمي المسكينة فى دور رعاية ، حتى أتنعم بالحياة معك . لماذا وضعتني فى هذا المأزق الحرج ؟ ، أنا أعلم أنك لم تفعل ذلك بإرادتك ، إن الظروف بالطبع هى من فعلت بنا هكذا ، الظروف هى من فرضت نفسها علينا ، الظروف هى من جعلتك تفكر مثل هذا التفكير ، ولكن

انتظرني لحظة من فضلك ماذا لو كانت أمك أنت ؟ ، هل كنت ستضعها فى دار المسنين أيضًا ؟ ، لا أعتقد ذلك بالمرة ، وماذا لو فعلتها ؟ أظن أنك ستكون جاحدًا ناكر الجميل ، وأنا لا أعطي قلبي لشخص جاحد مثلك .

ظلت المشكلة قائمة والأمور بالطبع تسوء، إلى أن جاءني ذات يوم يطالبني بشبكته، لم أتحدث معه لم أعاتبه ، اكتفيت بإعطائها له بدون أي كلام قلت له فى صمت: ارحل فالذين يرحلون لا يعودون إلى الأبد ، الانفصال كان هو الحل المثالي لهذه العلاقة ، ننفصل اليوم أفضل من أن نحيا غدًا بالفشل ، ولكن كيف طاوعه قلبه أن يفعل هذا؟، كيف قدر أن يطلبها مني بلسانه؟، هل حقًّا كان يحبني كما كنت أظن؟ أم كان مجرد إعجاب بي فقط؟، هل الظروف أقوى من الحب؟ أم أن الحب يستطيع أن يتغلب على هذه الظروف، هل الحب يحتمل كل شيء، أم أن له قدرة معينة على الاحتمال ؟

تيقنت عندها أن الحب وحده لا يصنع المعجزات ، وأن مرآته عمياء ، تخفي لنا واقعنا المعاش ، لقد كان درسًا قاسيًا علىَ جدًّا ، فجرح المشاعر أصعب بكثير من جرح الجسد ، ووجع الجسم خير ألف مرة من وجع الروح . تمالكت نفسي وجمعت ما فضل مني ، ومسحت دموعى بيدي ، ووعدت نفسي : بأن أحيا فقط لأجل أمي . وألا أنتظر شيئًا من أحد . وقررت أن أقسو على نفسي حتى لا يجرحها أحد مرة أخري . وهتفت قائلة : كفاك ضعفًا يا ميرا . إن لم تكونى قوية ستجدين الألم وخيبة الأمل فى انتظارك . كلا لن أكون ضعيفة أبدًا .

كنت أشعر بالوحدة طيلة السنوات الماضية ، ولكن لا بأس بها إن كان معناها التخلص من المشاكل والهموم والتحرر من القيود . فالارتباط أصبح مشكلة وهو يقيدني عن أمي . كم هو مؤلم أن لا تعرف هل أنت مسير أم مخير ؟ ، هل أنت تختار حياتك بأدق تفاصيلها ، أم أنك فقط تقرأ كتاب حياتك الذي كتبه لك القدر ؟ . شعرت برغبة فى البكاء عندما أخبرني أحدهم أنني قوية وأنه معجب بذلك ، لا يعلم أن روحي تبكي من الوحدة .

" الفصل الثاني "

* مدحت مع امه :

علي الجانب الآخر نظرت الأرملة إلى ابنها الذي بدأ على مشارف العقد الثالث من عمره . وربتت علي كتفيه قائلة : نفسي أفرح بك يا ابني قبل أن أموت ، أخواتك قد تزوجن وأنجبن وأنت إلى الآن لم تخطب ، والعمر يجري يا حبيبي وأنا لن أدوم لك إلى الأبد .

مدحت : لا توجد سيدة تستحق اهتمامي سواك يا أمي ، لا توجد فتاة تستحق حبي ، فأنا إذا أحببت أخلصت ، وإذا وعدت وفيت ، ولكني لم أجدها حتى الآن .

الأم : ولكني أشعر أن أجلي قد اقترب

مدحت : الله يعطي لك العمر والصحة ، لا تقولي هذا مرة أخري .

الأم : بل سأقولها كثيرًا ، إنها الحقيقة يا ابني .

مدحت : وماذا أفعل إذن ؟ هل عليَّ أن أضرب الأرض بقدمي حتي تخرج لي فتاة أتزوجها .... ! . منذ متى ونحن نبحث عن فتاة ، لقد سئمت من رحلة البحث هذه .

الأم : يا ابني يجب أن تعلم جيدًا أنه : " محدش بياخد عروسة حد " .

مدحت : إذا كان الأمر هكذا يا أمي ، فلماذا تشغلين بالك بهذه القضية ؟ .

الأم : لابد من السعي والبحث الجاد عنها .

مدحت : ابحثي أنتِ بنفسك ، أما أنا فكفاني البحث عشرة أعوام .

كان مدحت يخاف أن يقع في الحب ، إنه يؤمن جيدًا بعدم وجود حب مثالي ، ما من علاقة تكتمل . كان أجبن من أن يطلق قلبه حرًّا طليقًا ليأسره العشق .

وهنا سمع مدحت صوت طرقات على الباب ، جعلته يفوق من تفكيره ، إنها السابعة مساء فهذا موعده مع ابن عمه أيمن ، الذي كان شابًّا من نفس عمره تقريبًا ، لم يكن قد تزوج مثله .

*** أيمن مع مدحت :**

أيمن : كيف حالك يا مدحت ؟

مدحت : نشكر الله بخير ، وماذا عن صحة عمي ؟

أيمن : الحمد الله جيدة .

مدحت : ماذا تريد أن تشرب ؟

أيمن : أي مشروب عندك ، ممكن قهوة مضبوطة .

مدحت : حسنًا ، ولكن منذ متى وأنت تشربها ؟

أيمن : منذ أن عملت فى البنك يا مدحت ، فالقهوة تزيد من تركيزي .

مدحت : مجرد إيحاءات يا أيمن ، وليس أكثر من هذا .

أيمن : حسنًا دعك من حوار القهوة هذه ولنهتم بأمرك ، قل لى: ألم تجد حتى الآن عروسة لك ؟

مدحت بضحك : عندما تجدها أنت أولاً ، حتمًا سأجدها بعدك بكل تأكيد .

أيمن : هل تبحث عن فتاة ذات مواصفات معينة ؟

مدحت : أبدًا إني أبحث عن ارتباط عقلاني فحسب ، لأني أرى أنه لا يوجد أفضل من هذا الارتباط التقليدي .

أيمن : قصدك زواج صالونات يعني ؟

مدحت : سمها مثلما تريد أن تسميها ، أهم شيء لابد أن يكون هناك اتفاق بين الطرفين .

أيمن : إن الزواج التقليدي يكون زواجًا فاشلاً ، لأنه غير مبني على الحب .

مدحت : بالعكس يا أيمن فالزواج التقليدي يتوفر فيه على الأقل مبدأ تكافؤ الفرص ، لأنك تختار حينها بعقلك وليس بقلبك وعاطفتك . أنت تبحث عن فتاة تناسبك من حيث مستواها التعليمي والديني والاجتماعي ، باختصار إنسانة تحترم عقليتك .

أيمن : ولكنك بهذا الشكل تريد سلعة وليس زواجًا ، إن الشرط الأساسي فى الزواج هو الحب ، أنا لا أستطيع أن أتزوج بفتاة لم أحبها ، أو على الأقل لم يحدث بيننا نوع من الإعجاب .

مدحت بسخرية : وأين ستجدها إذن ؟ حتى يحدث ذلك الإعجاب الشديد لديك!!

إننا أنهينا دراستنا من الجامعة منذ عدة سنوات ، ولم نكن وقتها نفكر قط فى هذه الأمور ، على الرغم من أنه كان يوجد معنا فى الكلية فتيات ممتازات ، إلا أننا وقتها لم نكن جاهزين للزواج .

أيمن : صدقني لو كانت هناك فتاة تحبك حقًّا ، لتحملت الكثير لأجلك .

مدحت: لا يوجد بني آدم على وجه الأرض يحتمل أحدًا، إننا فى عصر المادة يا ابن عمي .

أيمن : المادة ليست كل شيء يا مدحت .

مدحت : آه بكل تأكيد معك حق ، ولكن بها أيضًا كل شيء ، فأنا مثلاً تم رفضي من كثيرين عندما جربت أن أتقدم لهم من دون شقة . حيث قيل لى بصراحة : كيف نعطيك ابنتنا وأنت لا تمتلك شقة؟

أيمن : إذا كانت الفتاة تحبك حقيقة ، لدافعت عنك وتمسكت بك ، ولكن لأجل أنه زواج تقليدي خال من الحب ، فقد تم رفضك .

مدحت بلهجة سخرية : آه إذا كانت تحبني ، سنفرض جدلاً أنها كذلك ، هل ستقف أمام أهلها وتتحداهم لأجلى ؟ هل ستقدر أن تعصي كلامهم لخاطري ؟ هل ستقدر أن تقنعهم بواحد مثلى هم يرفضونه أصلاً ؟ لا أعتقد فى هذا يا روميو ....

أيمن : لم أقل إنها تتحداهم ، وإنما تقدر أن تتفاهم معهم وتؤثر عليهم .

مدحت : ولكنهم غير ساذجين بالمرة ، حتى تستطيع أن تؤثر عليهم ، إنهم إناس يعيشون فى هذه الحياة ، ويعرفون جيداً كيف تسير الأمور . آخر القول يا أيمن : إذا أردت أن تتزوج زواجًا ناجحًا فعليك بالزواج العقلاني المنطقي ، لأن العاطفة وحدها لا تكفى للسعادة الزوجية .

أيمن : إن زواج العقل ليس فيه روح وحياة ، فالعاطفة هى التى تساعد على استمرارية الزواج . فالحب كزرعة لابد من رويها كل يوم حتى لا تفقدها للأبد .

مدحت بلهجة تهكم : حسنًا يا أيمن هذه الزرعة فلتقم بزراعتها أنت .

لم يقتنع أيمن بكلام مدحت ، فهو يرى مثلما كانت ترى ميرا قديماً : أن الحب وحده يصنع المعجزات ، ربما لأنه لم يدخل فى تجربة كالتى مرت بها ميرا ، تلك التجربة التى أحدثت لها نوعًا من الصدمة العاطفية ، حيث غيرت لها مفاهيم ومعاني كثيرة عن الزواج .

كانت الأم طريحة الفراش تتعجب لحال ابنتها كيف لا يتقدم لها عرسان ؟ مع إنها تعمل ويراها الناس كثيرًا ....! ، كانت تحدث أختها لعلها تجد من يصلح للارتباط بها ، كانت الأخت تصمت ولا تجد ما تقوله ، وأحيانًا يفيض الكيل بها وتقول : ابنتك هي من ترفض العرسان حتى قبلما تراهم ...!

*** أميرة مع أختها ميرا :**

وفى يوم جاءت أميرة لكي تزور أختها ميرا فى بيت أبيها .

أميرة : وحشتيني جدًّا يا ميرا .

ميرا : وأنتِ أكثر يا أميرة ، فمنذ شهر كامل لم أركِ.

أميرة : غصب عني يا أختي ، فأنت تعلمين جيدًا الظروف وامتحانات أولادي .

ميرا : الله يعينك يا أختى ، طمئنيني هل الأولاد بخير ؟

أميرة : آه بخير والحمد الله ، لقد انتهزت فرصة انتهائهم من الامتحانات لكي أزورك وأسلم على أمي .

ميرا : الله يسلمك وهل سيأتي الأولاد ؟

أميرة : نعم سيأتون آخر النهار بإذن الله ، ولقد استغللت هذا وجئت أحدثك فى موضوع مهم قبلما يأتون .

ميرا : خير إن شاء الله .

أميرة : خير بإذن الله ، أم أنجي صديقتي لديها عريس لك ، محاسب ويعمل فى بنك ، ويكبرك بحوالى أربعة أعوام فقط ، لقد رأيت صورته الشخصية عبر حسابه على الفيس بوك ، فهو شاب جميل خفيف الدم .

ميرا : سامحيني أنا لا أقدر على الذهاب لمقابلة أحد .

أميرة : ولِمَ الرفض والرجل محترم ، ودخل البيت من بابه؟ . أنا أتمنى أن تعيدي تفكيرك فى هذا الموضوع مرة أخرى .

ميرا بانفعال شديد : قلت لك إن الموضوع منته، فلا هو ولا أحد غيره .

أميرة : ليس من الجيد أن تتشبثي برأيك هكذا ، فالكلام أخذ وعطاء كما يقول المثل.

ميرا : لا يوجد عندي استعداد لتكرار تجربة فاشلة مرة أخرى . وفي نهاية الأمر هل سأمكث معه أم مع أمي المريضة ؟ .

أميرة : الأمر ليس بمشكلة كبيرة ، فستقضين معه جزءًا من اليوم والجزء الآخر ستكونين مع أمك . وأنا سأساعدك دائمًا ولا أتركك أبدًا .

ميرا : كيف تساعدينني ولديك عملك وبيتك وزوجك وأولادك ؟ . كما أنك تقيمين بعيدًا عنا كثيرًا ، أنا عندي أن لا أتزوج خير لى من أن أتزوج وتحدث مشاكل كبيرة جدًّا بعد زواجي ، وأرجوكي أن لا تخبري أمي بهذا الحوار ، حتى لا تحدث مشكلة بيني وبينها بسبب هذا العريس .

أميرة : أنا عمري ما هتخلى عنك ، صدقيني أنا بتكلم لمصلحتك . فالفتاة مننا عندما يكون لها بيت وعيلة وأحد يسأل عنها ، تشعر بأن هناك عزوة حولها . أنا أريدك أن ترتبطي مثل أي فتاة وألا تخافي من شيء .

لم تقتنع ميرا بكلام أختها ، لأنها بالطبع أخذت قرارها فى هذه المسألة، فقد قضي الأمر، وبينما هى جالسة مع أمها سمعت صوت جرس الباب يرن ، فظنت أنه محصل الكهرباء ، ولما فتحت وجدت السيدة عنايات جارتها والتى يبدو إنها متطفلة بعض الشيء .

*** حوار مع السيدة عنايات :**

عنايات : كيف حالك يا ميرا ؟

ميرا : الحمد الله .

عنايات : وأخبار صحتك ؟

ميرا باستغراب : جيدة

عنايات : ألا تريدين أن تفرحي قلبي وتصبحي عروسة ؟

ميرا : لا فأنا جيدة هكذا .

عنايات : كيف تكونين جيدة وأنتِ وحيدة ؟ إن البنت ليس لها إلا بيت زوجها مثلما يقول المثل .

ميرا : عذرًا ، أنني لا أفكر فى هذا الموضوع حاليًا .

عنايات : ولماذا لا تفكرين فيه ؟ ، أنا أريد مصلحتك ، لقد جئت لك بعريس ممتاز ، أي فتاة مثلك تتمنى أن ترتبط به ، فهو ضابط شرطة ومكانته مرموقة فى المجتمع ، ولا يكبر عنك كثيرًا .

ميرا : أشكرك يا ست عنايات ، فأنا غير راغبة فى الزواج بالمرة .

عنايات بانفعال شديد : لماذا تتعاملين معى بهذه الطريقة الجافة ؟ أنا أريد مصلحتك فحسب .

ميرا : حسنًا مصلحتي أن أفضل مثلما أنا .

عنايات : لماذا تفعلين بنفسك هكذا ؟

ميرا : لأجل ظروف أمي المريضة .

عنايات : هل لأجل خاطر ظروف أمك هذه تصيبك العنوسة وتوقفين حالك بيدك ، أنا لا أرى فى ظروفها مشكلة مطلقًا ، فيمكنك وضعها فى دار مسنين .

ميرا بانفعال شديد : هل وصل الأمر بنا أننا نلقي أمنا فى دار رعاية ...! ، الله يسامحك يا ست عنايات على ما تقولين ، وبعد إذنك هذا الموضوع قد انتهى ، فلا تعودي تشغلين رأسك به من جديد .

عنايات : كيف لا أشغل بالى به ؟ ، لقد أعطيت كلمة للناس ، على الأقل تجلسين معه ثم ترفضينه .

ميرا : على أي أساس أقعد معه والفكرة أصلاً بجملتها مرفوضة .

عنايات : كيف ترفضين الفكرة ؟ أنت حقًّا معقدة وخائفة من الزواج ، وتتحججين بظروف أمك ، سأذهب وأتركك بمفردك ، ولكن تذكري كلامي هذا جيدًا سيأتى حتمًا اليوم الذي ستندمين فيه على كل ما تفعلينه الآن .

*** الأم مع ميرا :**

سمعت الأم طريحة الفراش صوتًا صاخبًا جدًّا ، ولكنها لم تميز من المتحدث ، فسألت ميرا ابنتها فى قلق شديد عن ما الذي جرى بالخارج ؟

أجابت ميرا : أبدًا يا أمي الست عنايات جارتنا المتطفلة كانت تحدثني عن عريس من طرفها ، وأنا قمت برفضه وأنهيت معها هذا الموضوع تمامًا .

الأم : حرام عليك يا ابنتي أن توقفي حالك لأجل خاطري، فأنا سأقدر أن أعيش بمفردي وسأعتمد على نفسي .

ميرا: كيف هذا يا أمي ؟ وأنت لا تقدرين على الحركة أصلًا.

الأم: لا تهتمي بشأني، سعادتك بالدنيا يا بنتي .

ميرا بتأثر شديد: السعادة وأنا معك يا أمي، يكفي بأنني فقدت أبي، ولا أريد أن أفقدك أنتِ أيضًا .

الأم بفرح : الله يخليكي لي يا حبيبتي، فأنتِ عوضي وسندي فى هذه الحياة.

ميرا : تعيشين لى يا أمي ، والله قادر أن يشفيكي .

الأم : الله قادر أن يستجيب لك يا ابنتي، ولكني أود أن أفرح بك قبل أن أموت، لأنه إذا حدث لى مكروه، لن تستطيعي العيش بمفردك فأنت تعلمين جيدًا نظرات المجتمع للمرأة الوحيدة .

ميرا : الله قادر أن يطيل لي في عمرك يا أمي، وأن يبعد عنك كل شر .

الأم : إني قلقة عليك جدًّا من الزمن يا ابنتي .

ميرا : إني متوكلة على الله ، فهو من خلقنا وقادر أن يحفظنا ويرعانا .

سرحت ميرا فى كلام والدتها ، وفى نفس الوقت أيضًا سرح مدحت فى حاله ، أفاق مدحت من غفلته هذه على اتصال أخيه رامي به .

*** مكالمة تليفونية بين مدحت ورامى أخيه :**

رامي : ألو

مدحت : ألو

رامي : كيف حالك يا أخي ؟

مدحت : الحمد الله فأنا بخير .

رامي : هل وجدت عروسة تناسبك أم لا ؟

مدحت : حقيقة لم أجدها حتى الآن .

رامي : الله يوفقك يا أخي ، ولكن اعلم جيداً أنه سيمر عليك وقت تحتاج أن تتحدث فيه مع أحد، وستشعر أنك وحيد ومعزول عن بقية الناس .

مدحت : صدقت يا رامي ، فأنا أحيانًا أشعر بمثل هذا الشعور .

رامي : للأسف هذا الإحساس سيزيد معك إذا حدث لأمك شيء لا قدر الله .

مدحت : بعد الشر عليها .

رامي : أنا لا أقصد شيئًا، ولكن تذكر أن لكل أجل كتابًا ، وقد تكمن المشكلة فى أنك ستستوعب هذه الحقيقة بعد فوات الآوان ، وقتها لا نستطيع عمل شيء لك ، لأن عمرك سيكون قد كبر .

مدحت : كثيرًا ما حدثتني أمي عن هذا الموضوع ، ولكن ما العمل يا أخي ؟ أنا لم أجد الفتاة المناسبة لي حتى الآن .....!

رامي : الله قادر أن يوفقك فى فتاة ممتازة تتناسب معك . إلى اللقاء يا أخي .

بعد انتهاء المكالمة ، فكر مدحت فى كلام أخيه رامي ، وأنه لا يخسر شيئًا إذا بحث فى الموضوع بجدية أكثر، فتقاعسه هذا ليس لصالحه بالمرة . وعلى الجانب الآخر ذهبت أميرة لزيارة أمها وأختها ميرا ، لكي تحدثها بشأن عريس جديد .

*** زيارة أميرة لأختها ميرا :**

أميرة : كيف حالك يا ميرا ؟ ، صديقتي نرمين وجدت لك عريسًا .

ميرا بضجر : عريس آخر . ألم أقم بغلق هذا الباب منذ عدة سنوات يا أميرة ؟

أميرة : بالنسبة لي لم أغلقه قط يا ميرا ، وسيظل مفتوحًا على مصراعيه حتى أزوجك وأفرح بك مع ماما .

ميرا : حقيقة إني مللت من هذا الموضوع ، كل شخص يراني يقول لى : هل نويتِ الزواج أم مازلتِ تضربين عنه؟ وكأن هذا الموضوع بيدي أنا ....!

أميرة : بالصواب تكلمتِ، فالموضوع فعلاً بيدك أنت .

ميرا : كيف ....؟!

أميرة : أنت التى ترفضين الفكرة من الأساس ، وبناء عليه ترفضين أي عريس يتقدم لك ، أنت من تتشبثين برأيك يا ميرا .

ميرا : يعني أنا من وقع عليها الخطأ حاليا ؟

أميرة : أنا لا أقصد هذا بالطبع ، ولكنك تنظرين إلى مشكلتك نظرة قاصرة ، فالظروف تتغير ولا يعلم أحد منا ما الذي تخبئه لنا الأيام ؟

ميرا : ماذا تعنين بكلامك هذا يا أميرة ؟

أميرة : أعني أنه من الممكن أن تتأقلم أمك مع الوضع الجديد

ميرا : فلنفرض إنها لم تتأقلم على هذا الوضع ، فماذا أفعل إذن بعد الزواج ؟

أميرة : ولماذا تفترضين الأسوء ، لماذا دائما لديك هذه النظرة التشائمية ، لابد أن يكون عندك تفاؤل وأمل فى الحياة . جربي أن تقابلي هذا العريس ، وإذا استرحتِ له كملي معه ، وإلا فموضوعه منتهٍ، مجرد تجربة ليس أكثر من هذا ، وأنت حرة ولا يستطيع أحد منا أن يجبرك على شيء لا ترغبين فيه.

ميرا : المصيبة فعلًا لو إني قد استرحت له ، فكيف أكمل معه بهذه الظروف والأوضاع التى أنا فيها ؟ هل تعرفين ما هو أسوء شيء فى هذه الحياة ؟

أميرة : ترى ما هو ؟

ميرا : أن تحبي شخصًا ما ، وتوقني بأنك لا تستطيعين الاستمرار معه بقية حياتك ، يجب أن تعلمي جيدًا أن زمن الملائكة قد انتهى منذ حين ، فلا يوجد إنسان يحتمل ظروفي هذه .

أميرة : اتركيها على الله ، فهو خير معين ، ولا تقلقي من شيء طالما أختك موجودة بجوارك .

*** مكالمة تليفونية ميرا مع بنت خالتها هالة:**

ظلت ميرا تفكر فى كلام أختها أميرة ، واتصلت بهالة بنت خالتها التى كانت تكبرها ببضع سنوات ، وعلى علاقة طيبة بها ، وتثق فى رأيها جدًّا .

ميرا : ألو

هالة : الو

ميرا : كيف حالك يا بنت خالتى ؟ إنني أشتاق إليك كثيرًا

هالة : وأنا مثلك أيضاً أتوق لرؤيتك ، ولكن لماذا لم تسألي عني منذ عدة أسابيع ؟

ميرا : أود أن أتركك مع خطيبك ، فلا أعطلك عنه .

هالة : لا يوجد عطلة ولا أي شيء ، أخبريني عن حال خالتي ؟

ميرا : مثلما هي والحمد الله على كل شيء ، فلا يوجد أي تقدم فى صحتها ، فالحالة قد استقرت على هذا .

هالة : ربنا الشافي المعافي وقادر أن يصنع معها معجزة.

ميرا : يارب يا هالة. ولكن قولي لي هل حددتي موعد الزفاف أم لا ؟

هالة : نحن نوضب حاليًا فى الشقة، ونجتهد أن ننتهي منها بإذن الله فى الفترة القادمة ، على أن يكون الفرح فى شهر مايو إن شاء الله .

ميرا : الله معك ويتمم لك على خير إن شاء الله ، كنت أود أن أتحدث معك فى موضوع.

هالة بلهفة : عريس صح ؟

ميرا بتعجب : من أين عرفت ؟!

هالة : قلبي كان يشعر بأنك ستفرحيني عن قريب .

ميرا : إنه جاء لي من طرف أختي ، حيث أخبرتني بأنه يعمل طبيبًا فى المستشفى التى يعمل بها خطيبك أيضًا . فأرجو منك أن تسأليه بمنتهى الصراحة عن أخلاقه وسلوكياته ، فأنا كما قلت لك لا أعلم عنه أي شيء .

هالة : تحت أمرك يا ميرا ، ويارب نحن الاثنان نتزوج فى سنة واحدة .

ميرا : ولكنني بصراحة قلقة بعض الشيء .....

هالة : هل أنت قلقة بسبب خالتي ؟

ميرا : نعم ولا أعلم ماذا سأفعل ؟

هالة: لا تفعلي شيئًا، فقط اتركيها على الله، فإن العبد فى التفكير والرب فى التدبير .

تحت الضغط والإلحاح الشديدين من أختها وأمها واتصال هالة بنت خالتها بها ، حيث أخبرتها بأن العريس ذو شخصية محترمة جدًّا وعلى خلق مستقيم ، ومن عائلة لها مركزها فى المجتمع . فتشجعت ميرا للذهاب لمقابلته .

" الفصل الثالث "

* يوم المقابلة :

كانت ميرا تشعر أنها ليست بحالة جيدة ، وأنها تحتاج الكثير من التعديلات على شكلها ومظهرها ، تعرف أن الانطباع الأول يدوم . وكانت تريده أن يكون رائعًا ، لقد كانت هذه المقابلة مقياسًا لأشياء كثيرة أهمها التوافق والاستمرارية . كانت الأفكار تدور برأسها هل سيعجبني هل سأعجبه ؟ وماذا لو حدث وأعجب كلٌّ منا بالآخر؟ هل سأصارحه بظروف والدتي الصحية وأنهي كل شيء ، أم أؤجل هذه الظروف لحين تكون علاقة بيننا ؟ .

في " بونا فيستا " Buena Vista هناك التقيا ، كانت ملامحه مألوفة جدًّا بالنسبة إليها ، مما جعلها تحدثه بأريحية عظيمة ، لا تعلم كم مر من الوقت وهى جالسة ؟ ، شعرت أنها خارج الزمان والمكان . لا تعلم متى وأين ؟

مدحت : مساء الخير . كيف حالك يا ميرا ؟

ميرا : مساء النور ، الحمد الله أنا بخير ، وأنت كيف أحوالك ؟

مدحت : أشكر الله فأنا على خير ما يرام ، تسمحين لي بسؤال ؟

ميرا : بالطبع تفضل .

مدحت : من أي كلية تخرجت ؟

ميرا : من كلية الصيدلة .

مدحت : آه حسنًا ، وأنا خريج كلية الطب البشري بتقدير جيد جدًّا مع مرتبة الشرف

ميرا : وأنا كذلك تقديري مثلك .

مدحت : حسنًا جدًّا ، فهذا التقدير لا يحصل عليه إلا طالب متميز.

ميرا : أشكرك .

مدحت : هل تعملين أم لا ؟

ميرا : نعم أعمل فى شركة أدوية .

مدحت : وأنا أعمل أيضًا فى مستشفى حكومي .

ممكن سؤال آخر؟

ميرا : نعم بكل تأكيد .

مدحت : ما رأيك في الحياة ؟

ميرا : أحيانًا تكون حلوة وأحيانًا تكون صعبة ، فهي لا تسير على وتيرة واحدة ، فيوم سعيد ويأتى آخر حزين .

مدحت : قصدك إنها متناقضة معًا حزن وفرح، سعادة وغم .

ميرا : بالضبط هذا قصدي .

مدحت : وما رأيك إذن فى القول القائل : إن الإنسان يستطيع بناء سعادته بنفسه. هل هذه المقولة صحيحة أم لا ؟

ميرا : أظن إنها صحيحة ، بتقبل الآخر والتعامل معه بطريقة لائقة ، فالسعادة تتطلب نوعًا من الذكاء الاجتماعي .

مدحت : إذن فأنت تعتقدين بأن الإنسان يستطيع أن يتحكم فى السعادة .

ميرا : نعم أعتقد ذلك .

مدحت : ما مفهوم السعادة من وجهة نظرك ؟

ميرا : السعادة هى الشعور بالرضا والشكر ، وتقبل ما يحدث لك ، فيكون لديك إيمان دائمًا وقناعة تامة بأن الله هو الذي كتب لك الخير .

مدحت : وهل الله يتحكم فى مصير البشر لأنه كاتب لنا الخير مثلًا ؟

ميرا : إن الله فى ذمامه جميع أمور حياتنا ، إنه يحذر الإنسان من فعل الشر ، لكنه يترك له حرية الإرادة أيضًا .

مدحت : إذا كان الله حقًّا كاتبًا للإنسان الخير كما تعتقدين ، فكيف إذن يسمح له بحرية الاختيار ؟

ميرا : يسمح له بحرية الاختيار لأنه يوجد هناك ثواب وعقاب ، فعدالة الله تقتضي وجود حرية الإنسان .

مدحت : هل تعتقدين بالمقولة القائلة : إن الخير من الله والشر من أنفسنا ؟

ميرا : نعم أعتقد بها . وأنت إذن ما مفهومك للسعادة ؟

مدحت : السعادة هي البعد عن المشاكل والقرب من المحبوب سواء كان الله أو البشر ، هي راحة البال والاطمئنان والشعور بالاستقرار . هل لديك أسئلة أخرى أم أسأل أنا ؟

ميرا : تفضل أسأل أنت .

مدحت : ما مواصفات فتى أحلامك ؟

ميرا : أن يكون رجلًا يستطيع تحمل المسئولية ويجيد لغة الحوار والمشاركة والتفاهم ، ليس أنانيًّا ولا بخيلاً أيضًا ، ويكون متدينًا حتى يستطيع أن يقربني إلى الله ، كما أتمني أن يكون حنونًا عليَ .

مدحت : هذه مواصفات جيدة فعلاً ، ولكن ماذا تقصدين بكلمة حنونًا ؟ .

ميرا : أي عنده رحمة ، حينما يراني مرهقة يكون معى وبجواري حيث يشعر بتعبي ومعاناتي . وأنت ما مواصفات فتاة أحلامك ؟

مدحت : تكون متدينة وتحمل أسراري وتوفر لى السلام والابتعاد عن المشاكل وتفهمني وتتقبل ظروفى ، أي تعيش معى على الحلوة والمرة أيضًا .....

ولكن يحضرني سؤال فى ذهني .....

ميرا : تفضل .

مدحت : ما هو يا ترى أكثر شيء يفرح قلبك فى هذه الحياة ؟

ميرا : هذا سؤال كبير جدًّا ، عندما أجد إنسانًأ يقدرني ويفهمني ، شخصًا يكون حنونًا علىَ وأكون غالية عنده ، حيث يهتم بفرحي ويحزن لحزني ، ويشاركني فى كل أمور حياتى .

مدحت : ربنا يفرحك ويعطي لك أكثر ما تتمنين .

ميرا : ربنا يخليك . وأنت ما أكثر شيء يفرحك ؟

مدحت : مثلك تقريباً ، بالإضافة إلى أن أنجز شيئًا فى هذه الحياة ، أنا لا أريد أن أكون كباقي الناس، أريد أن أعمل لى ذكرًا، أن أترك بصمة وانطباعًا فى الحياة قبل الرحيل .

ميرا : الله يعطيك طول العمر ، وتحقق كل ما تريده .

مدحت: أنا لا أريد أن أكون مجرد عابر سبيل مثل غيري ، أريد أن يكون لي هدف فى الحياة .

ميرا : إن شاء الله ستوصل لأن عندك هدفًا .

مدحت : وما أكثر شيء يضايقك ؟

ميرا : قلة الاهتمام وانعدام التقدير .

مدحت : فعلاً معك حق فى ذلك . هل تعلمين أن كل شيء حدث لي فى هذه الحياة قد ترك أثرًا شديدًا في داخلي ، واكتشفت هذه الحقيقة أن هناك أشياء كثيرة لا تستطيع أن تعوضها بالنقود .

ميرا : طبعًا فهناك الرضا لا تستطيع أن تشتريه بالمال .

مدحت : بالضبط مثل الرضا والصحة والحب وراحة البال والوقت والعمر ، وأشياء أخرى كثيرة لا تستطيع النقود أن تشتريها .

ميرا : الله قادر أن يعطيك جميع هذه الأشياء .

مدحت : آمين . أهم شيء نفس الإنسان وليس نقوده . فماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟

ميرا : فعلاً إني متفقة معك فى ذلك . ولكن قل لى : هل عندك أصحاب ؟

مدحت : كنت أصاحب شخصًا لعدة سنوات ، كنا نجلس ونأكل مع بعض ، كل منا كان سرًّا للآخر ، إلا أنه تركني فجأة بسبب إحدى الفتيات ، حقيقة إنني صدمت فيه صدمة عمري ، ولذا فقد أخذت قرارًا بأنني لن أصاحب أحدًا غير شريكة حياتى فقط ، لأنها بإذن الله ستبقى معي. وأنت ؟

ميرا : ليس لدي سوى هالة بنت خالتي فقط .

مدحت : ربنا يديم صداقتكما ، ولا يوجد شيء يفصلكما عن بعض .

ميرا بقلق : آمين . كنت أود أن أقول لك شيئًا هامًّا جدًّا .

مدحت باهتمام : لا تترددي فيما تقولينه لى .

ميرا : أنا عندي ظروف خاصة بوالدتي ، فهي مريضة وتحتاج إلى رعاية واهتمام ، لأنها طريحة فراش ، ولابد أن أكون معها أطول وقت ممكن .

مدحت : قصدك أنك ستمكثين معها .

ميرا بتلعثم : نعم .

مدحت : حسنًا لا بأس من ذلك ، فأمك هي أمي ، واهتمامك بها من اهتمامي . فأنا أيضًا لدي أمٌّ مريضة ، وأعرف جيدًا مدى احتياج المريض للرعاية .

ميرا : ولكنني أخاف أن تحدث مشاكل بيننا بعد الزواج .

مدحت : لا تتعجلي الأمور، واتركيها على الله ، فهو من يدبر لنا حياتنا .

ميرا: أنا ممتنة لك بالشكر والعرفان بالجميل، فأنت في الحقيقة إنسان بما تحمله هذه الكلمة من معان وقيم أخلاقية، فأنت شهم ورحيم، وأعلم أنك رجل ذو كلمة واحدة، ولن تغير كلامك أو اتفاقك معى هذا يومًا ما .

مدحت : لا تقلقي من شيء طالما أنا معك ، ولا يوجد بين الأحباب أي جميل . ومن ليس له خير فى أهله ، فلا يوجد له خير فى أي أحد . والأم هى من أوصانا بها الله ، ومهما فعلنا تجاهها فلا نستطيع أن نوفيها حقها .

ميرا : لقد كنت متوقعة ذلك الرد منك .

ثم قال لها : على الرغم من أنني لأول مرة أراكي ، ولا أعرف الكثير عنك ، ولكن الذي أعرفه إني حينما رأيتك وأنا أشعر بشيء عمري ما شعرت به قبل ذلك ، أشعر إني لأول مرة أجد نفسي ، تعرفين لما ترين أحدًا وتشعرين أنك تعرفينه من زمان ، كان ينقص فقط أن تقابليه لأنك أصلاً تنتظرينه منذ عدة سنين .

لم تجد ميرا ما تقوله ولكنها اكتفت بابتسامة خجل . لم تعترض وشعرت بأنها لم تقابل أحدًا بهذه البساطة من قبل .

لقد شعرت أن هناك قوة خفية تجمع بينهما ، شعرا بالانجذاب الشديد نحو بعضهما ، تمامًا مثل انجذاب الحديد للمغناطيس .

تحدثا كثيرًا طيلة ثلاث ساعات ، وجاءت ساعة الصفر . حيث نظرت إليه وهممت بالرحيل وقالت : هيا بنا . وقف مدحت لا يعلم هل يطاوع قلبه أم المنطق والعقل ؟ ولكنه تجاهل المنطق والعقل، وجرى وراء قلبه، فأوقفها فى الشارع قائلًا: هل تودين أن أوصلك ؟ ابتسمت خجلًا ثم قالت له : أشكرك ، إني أعرف الطريق . نظر إليها بعينين دامعتين مثلما يفعل الأطفال ، وشعر بقلبه يكاد يخرج من بين ضلوعه . وقال فى خاطره : أنا قلبي عمره ما دق إلا لكي يعيش ، أول مرة يدق عندما أحد يقترب منه أو حتي ينظر له فقط .

يقول مدحت : هزمتني تلك النظرة بعينيك ، هزمتني نبرة صوتك الهادئ ، زلزلت رجولتي . وخسرت أنا عقلي يومها بينما أنت ربحت قلبي ، لم أستطع أن أفهم ، وربما لن أفهم أبدًا .....

*** بعد المقابلة :**

بعد عودتها للمنزل اتصل بها مدحت للاطمئنان عليها .

مدحت : كم كنت سعيدًا وأنا جالس اليوم معك .

ميرا : وأنا أيضًا كنت سعيدة مثلك ، ولكن أتمني أن لا تزعل مني لأنني رفضت أن توصلني .

مدحت : لم أزعل منك مطلقًا ، وإنما شعرت بأنني كطفل صغير يتعلق بمن يحبه ولا يستطيع أن يتركه ، وبصراحة إن هذا الإحساس عمري ما شعرت به قبل ذلك. وبعدما ذهبتِ وحشني صوتك الملائكي، فلم أجد شيئًا أقوله لك سوي كلمة وصلتِ ؟ لقد كنت أحتاج إلى سماع صوتك العذب ، هل تفهمينني ؟

ميرا : نعم أفهمك بكل تأكيد .

مدحت : حقيقة لا أعلم ما الذي أصابني ؟ وأنا أتحدث معك أكون شديد التلقائية جدًّا.
ميرا : إن إحساس التلقائية هذا قد وصلني جدًّا .

مدحت : حقًّا إنني قد استرحت لك جدًّا من حيث الشكل والراحة النفسية والإحساس الداخلي أيضًا ، على الرغم من أنني لا أهتم بالشكل أبدًا ، لكن فعلاً انجذبت إليك بطريقة غير طبيعية بالمرة ، وهذا غريب على شخص قرأ لعظماء الفلاسفة ، إنسان العقل يحكمه دومًا .

ميرا باستغراب : أول مرة أحد يقول لى : إنني لدي جاذبية .

مدحت : يوجد شيء جذبني تجاهك ، هذا الشيء لم أجده مع كل الذين جلست معهم قبلك . ملامحك المألوفة بالنسبة إليَّ جعلتني أشعر أني أعرفك منذ سنين طويلة جدًّا.
لست غريبة عني يا ميرا .

*** المقابلة الثانية لوضع أسس التعامل بينهما :**

كان شعورًا متبادلًا بينهما ، فميرا أيضًا شعرت بأمان معه كأنه أبوها الذي تفتقده أو شخص تعرفه منذ عدة سنوات بعيدة منذ الطفولة . ونتيجة لهذا الارتياح قررا عمل مقابلة أخرى لوضع أسس التعامل بينهما .

مدحت : كيف حالك يا ميرا ؟

ميرا : الحمد الله بخير وأنت ؟

مدحت : نشكر الله فأنا بصحة جيدة ، ما رأيك اليوم فى أننا نتفق على كيفية التعامل فيما بيننا لأجل سعادتنا وفرحنا .

ميرا : هذا جيد وأنا معك .

مدحت : كل شيء سنتفق عليه الآن ، فنحن ملتزمان به مدى الحياة أمام الله وأنفسنا.
وأنا عن نفسي كلامي واحد لا يتغير أبدًا .

ميرا : طبعًا هذا شيء يريحني جدًّا ، وأنا موافقة على المبدأ .

مدحت : الحب لا يلغي الاحترام .

ميرا : أكيد .

مدحت : أتمني أن لا نهتم بشأن أحد سوانا فقط ، فحبيبي جنة مغلقة ، فحياتنا تكون مغلقة علينا فقط ، بحلوها ومرها وحزنها وفرحها .

ميرا : وأنا متفقة معك فى هذا أيضًا .

مدحت : مبدأ آخر أنا ضد الاستغلال ، فأرفض أن أستغل أحدًا ، أو أنَّ أحدًا ما يستغلني

ميرا : الاستغلال بمعني ماذا ؟ هل ممكن توضيح ؟

مدحت: الاستغلال بما تحتويه هذه الكلمة من معان، إذا كنت رفضت استغلال البشر، فما بالك بمن سأعيش معه ؟. فلا بد أن أعمل على راحته وسعادته وأراعى ربنا فيه . لأن المحبة لا تطلب ما لنفسها فقط . بمعنى أنني لا يجوز أن أبحث عن حقوقي وأنسى واجباتي .

ميرا : تمام وأنا متفقة معك في ذلك .

مدحت : لا أقدر أن أوعدك إلا فى حدود إمكانياتى ، لأني لو وعدت بشيء فيكون ملزمًا وواجب التنفيذ .

ميرا : بهذا تكبر فى نظري ، لأنني أحترم جدًّا الشخص الذي يحترم وعوده .

مدحت : مبدأ آخر أنا لا أحب الظلم ، سواء كنت ظالمًا أو مظلومًا ، لا للظلم بجميع أشكاله.

ميرا : أكيد أنا واثقة أنك لن تظلمني أبدًا

مدحت : أنا ممكن أظلم نفسي ، ولكنني لا أستطيع أن أظلمك أبدًا . أعدك بهذا مهما حدث . أنا سأمنحك الثقة وسأكون صريحًا معك جدًّا ، وأنت كذلك لابد أن تكوني معي

ميرا : سعيدة لأنك منحتني هذه الثقة ، ويارب أكون جديرة بها .

مدحت : طبعًا يا ميرا فهذا مبدأ آخر عندي ، إذا لم توجد ثقة ، فلا يوجد أيضًا تعامل

ميرا : وأنا أستريح لمبدئك هذا . وواثقة فيك جدًّا مع أن عمري ما أعطيت هذه الثقة لأي أحد بمثل هذه السهولة.

مدحت : أعلم هذا جيدًا ، ولكننا فى وضع يستلزم إعطاء الثقة لبعضنا؛ لأن منح الثقة هذا يقصر المسافات الطويلة بيننا ، فأقصر الطرق أبسطها .

ميرا : فعلاً عندك حق وأنت إنسان بسيط .

مدحت : مبدأ آخر أهم شيء أن يكون فكرنا واحدًا ، فلا يجوز لأحد منا أن يأخذ قرارًا بمفرده . فأي شيء نفكر فيه ونقترحه على بعض نقرره معًا ؛ لأن الزواج حياة شركة . كما أريدك أن تكوني مطمئنة من ناحيتي ولا تخافي من أي شيء ، لأن شعور الأمان هذا أهم ما فى الوجود .

ميرا : أنا مطمئنة جدًّا من ناحيتك.

مدحت : أتمني أن نهون الأمور ونعين بعض على متاعب هذه الحياة .

ميرا : إن شاء الله سنصبح شركاء فى كل شيء.هل من الممكن أن نصير أصدقاء ؟

مدحت بفرح : حدثني حدسي بأنك إنسانة جيدة ، يعتمد عليها في كل شيء ، وهذا ما شجعني على أن أتكلم معك من كل قلبي .

ميرا بابتسامة : وأنا سعيدة جدًّا بهذا .

مدحت : إذا اتفقنا على هذه المباديء فأضمن لك عدم حدوث المشاكل بيننا أبدًا ، هذا وعد مني بذلك .

ميرا : وأنا أيضًا أعدك بأني لن أتراجع أبدًا فى أي شيء اتفقت فيه معك .

مدحت: أهم شيء تكونين مقتنعة تمامًا بي وبكلامي هذا، ويارب أكون عوضًا لك عن كل الذي مضى وعن السنين التى مرّت بالآلام والحزن، وأكون سندًا وأخًا وصديقًا وأبًا تجدين فيه ما كنت تفتقدينه، هذا ما يهمني في كل الأمر.

بعدما اتفق الحبيبان على مبادئ التعامل مع بعضهما ، ومنح الثقة كل منهما للآخر ، قررا أن يكملا حياتهما معًا ، وتمت الخطبة ببهجة وسرور .

*** فترة الخطوبة :**

كانت أول نزهة بعد الخطوبة لها طعم آخر، لأنهما شعرا بأنهما على مشارف الطريق الصحيح ، حيث بدآ أول خطوة فى حياتهما معًا . عندما رآها مدحت قال لها بصوت خافت: وحشتيني جدًّا. على فكرة، أول مرة شخص يوحشني بهذه الدرجة

ميرا : وأنت أيضًا صدقني .

مدحت: أنت عندي بالدنيا، إحساسي بالارتياح النفسي جعلنى أكمل معك بقية حياتى.

ميرا : ربنا يخليك لي يارب ، ونكمل مع بعض يا حبيبي .

مدحت : حقيقة إنى أرتاح عندما أنجز أشياء أحبها فى الحياة ، ولكن ليس بمقدار الراحة وأنا معك .

ميرا : إنني حقًّا عاجزة عن الرد ، يكفيني القول بأنك إنسان جميل .

مدحت : هل تعلمين ؟ أن الشيء الذي يأتى نتيجة صبر وشوق وصلاة يعرف الإنسان قيمته جدًّا لأنه ثمرة تعب سنين .

ميرا : نعم أعلم ذلك .

مدحت بثقة : وأنت هذا الشخص المنتظر من سنين .

ميرا : أشكرك على كلامك هذا ، فأنت تفرح قلبي .

مدحت : هذا إحساس صدقيني وليس مجرد كلام ، فالذي أشعر به هو ما أقوله لك ، وأول مرة أشعر منذ سنين . وهنا ضحك مدحت ....

ميرا : ربنا يخليك لى يا حبيبي .

مدحت : أمي فرحة بك جدًّا ، وتدعو الله أن نبقي معًا دائمًا.

ميرا : ربنا يفرحها دائمًا ويخليها لنا .

مدحت : تصدقين لو قولت لك إني كنت أبحث عنك منذ سنين كثيرة ، وللأسف وصلت لمرحلة فقدان الأمل .

ميرا : تعرف أن خالتي كانت تدعو لي هذه الدعوة .

مدحت باستغراب : أي دعوة ...!

ميرا : أن الله يرسل لي إنسانًا يقول لى : كنت أبحث عنك منذ سنين كثيرة .

مدحت: عجيبة جدًّا هي أعمال الله، وتدبيره فاق العقول، صدقيني إن هذا الكلام خرج مني تلقائيًّا. أنا حقًّا أفتخر بأنك صاحبتي وأختي وحبيبتي وخطيبتي وبإذن الله زوجتي .

ميرا : تعيش يا بابا ، أنا سعيدة إني عرفت إنسانًا مثلك ، على فكرة كلمة بابا هذه لم أقلها لأي إنسان غير أبي رحمه الله .

مدحت : حقيقة إني أفرح كثيرًا عندما تقولينها لى، وأتمنى أن أكون ولو تعويضًا صغيرًا عنه .

ميرا : أشعر بذلك ، بأنك ستكون عوضًا عنه ، وأنا معك أشعر بأنه مازالت الدنيا بخير ، صعب أنك تجد أشخاصًا أوفياء فى زمن المادة .

مدحت : ربنا يخليكي . هل تتذكرين عندما طلبت مني أن نكون أصدقاء ؟ .

ميرا بابتسامة : آه طبعًا أتذكر هذا جيدًا .

مدحت : يومها أنا فرحت جدًّا بصراحة ، لأن هذا الطلب أنا كنت مقرره من زمان وبطلبه من ربنا ، جميل جدًّا عندما يقرر الشخص شيئًا ويجد أن الله معه فى هذا القرار . إحساس بأنك تسير فى الطريق الصحيح إحساس مريح جدًّا ، لأن الله يبارك هذا الطريق .

ميرا : فعلاً عندك حق .

مدحت : لأجل هذا السبب أنت أغلى شيء عندي ، زمان قبلما أعرفك كان قلبي ميتًا لم يفرق معى أحد. ولكنني بعدما عرفتك قلبي نبض بالحياة من جديد ، وأول مرة أشعر أن هذه الدنيا بها شيء يستحق العيش من أجله، هذا الشيء هو وجودك معي .

ميرا : هذا الكلام الحلو كثير عليَ جدًّا .

مدحت : ربنا يخلينا لبعض ويكمل فرحتنا بالزواج .

ميرا : أنا آسفة حقًّا على ظروفي .

مدحت : أنا لا أستطيع أن أحبك أنت وأترك ظروفك هذه ، إن الإنسان الذي يحب أحدًا يأخذه بجملته ، فطالما أننا اتفقنا على كل شيء إذن فهذا الموضوع منتهٍ تمامًا ، ولا يوجد هناك داع أن نتحدث فيه مرة أخري ، هل اتفقنا أم ماذا ؟

ميرا : نعم اتفقنا .

مدحت : ربنا ما يزعلني فيكم لا أنت ولا والدتك .

ميرا : جميلة جدًّا هذه العبارة ، أنا أعلم جيدًا بأنك أخذتنا نحن الاثنين معًا .

مدحت : والدتك هى والدتي ، وهذا ليس كلام مجاملة ، ولكن تسمحين لى أن أقول لك شيئًا هامًّا .

ميرا : طبعًا بكل سرور .

مدحت : يكفي إنني عندما أكون ضيق الصدر وأستمع لصوتك هذا أستريح ، لأنك بالحقيقة موضع راحتي وسكينة قلبي .

ميرا بفرح : حسن جدًا هذا اليقين .

مدحت : هل تعلمين ؟ إنه إذا وضع كل إنسان نفسه مكان الآخر لكان مفهومنا فى التعاملات سيصبح أفضل بكثير .

ميرا : فعلاً ، فلا يوجد وقتها أي خلاف .

مدحت: بالضبط لأنني سأضع نفسي مكانك فسأعذرك، وكذلك أنت أيضًا ستعذرينني.

ميرا : أنت أول أهتمامي .

مدحت : وأنت أجمل شيء فى حياتي .

ميرا : بعض الناس يجعلون حياتك سعيدة لمجرد تواجدهم بها .

*** النهاية :**

مدحت : أشكرك على كلماتك الراقية هذه ، والله قادر أن يجعلنا سندًا وسعادة لبعض

ميرا : آمين يارب .

مدحت : أنت فتاة أحلامي التى وجدتها .

ميرا : أنت صاحبي الذي أهوى الحديث معه وأخي الذي كنت أفتقده ، وحبيبي الذي كنت أنتظره ، وأبي الذي أطمئن وأنا معه .

مدحت : منذ يوم رأيتك وأنت تشغلين عقلي ، لم يأخذ أحد من قلبي ما أخذت أنت . كنت أتلهف لرؤيتك ، لأملأ رئتي برائحة عطرك . كمسحور بك ولم يستطع أحد أن يفك طلاسم عشقى لك .

هتفت ميرا قائلة: بقربك أشعر بأمان ، براحة بال ، أنا بجوارك مهما حدث ، فى فشلك قبل نجاحك ، في وجعك قبل فرحك ، مهما حدث أنا فى ظهرك .

مدحت : أنت أعظم من رواية ، ولست مجرد حكاية ، فأنت حقيقة أحياها .

أخيرًا وجدت ميرا الإنسان الذي استأمنت نفسها وحياتها معه ، حيث شعرت بالأمان ، ورأت فيه الأب والأخ والصديق ، ونشأت علاقة صداقة كبيرة بينهما ، كانت تزداد بمرور الوقت والأيام ، تلك الصداقة المبنية على الصراحة المتبادلة بينهما ، والله أكمل فرحتهما وتوجها لهما بالزواج السعيد .

ترى ميرا أن الزواج الناجح ليس هو الزواج المبني على العاطفة وحدها ، وإنما هو ذلك الزواج المبني أولاً على العقل ثم العاطفة ، على أن يتوفر القبول والتفاهم والرحمة والتقدير والصراحة بين الطرفين ، فلا فائدة للاستمرارية فى علاقة عاطفية تفتقد لهذه الشروط . فالحياة ممتلئة بالصعوبات المادية والأزمات الصحية ، فلا يوجد احتمال لهذه الظروف من دون وجود عقل وعاطفة فى هذا الارتباط .

مقدم مني لإثبات التاريخ
مايكل يوسف سلوانس

اسم الرواية : اختيار وليست صدفة

اسم الكاتب : مايكل يوسف سلوانس يوسف

الرقم القومي : ٢٨٨٠٩٠٨٠٣٠٠٢٧١

*** ملخص الأحداث :**

ميرا شابة متوسطة الطول والجمال أيضًا ، تبلغ من العمر حوالى ٢١ عامًا ، كانت تحب والديها كثيرًا ، أصيبت الأم بجلطة حادة جعلتها طريحة الفراش . تخرجت ميرا من كلية الصيدلة بتقدير عام جيد جدًّا ، وجاء أحد الشبان لخطبتها ففرح به الأب كثيرًا ، إلا إنها اكتشفت أن العقل وحده لا يكفى للارتباط ، فقررت فسخ خطوبتها . بعد عدة أشهر تعب الأب جدًّا ، وساءت حالته الصحية ثم مات . في أحد الأيام تقدم لها زميلها الذي تعرفت عليه في العمل ، وتمت خطبتها التى لم تدم كثيرًا ، لأنه قرر التخلي عنها بسبب ظروف والدتها المرضية ، حينها اكتشفت أن الحب وحده لا يكفى للارتباط ، حصل لديها نوع من الصدمة العاطفية ، فأخذت ترفض جميع العرسان لمجرد كونهم يريدون التقدم لها. مرت الأيام والسنون، وجاء أحدهم عن طريق أختها ، وتحت الضغط والإلحاح الشديد وافقت لمقابلته ، وبدأ في التحدث والحوار معها ، مما جعلها تفكر فيه بعقلها وقلبها أيضاً ، ولم يعطها فرصة فى التردد لاختياره زوجًا لها ، فتمت الخطوبة وحدث الزواج السعيد بينهما .

الفهرس

بيانات الرواية .....(٢)
" الفصل الأول " البداية .....(٣)
الأب مع ميرا .....(٥)
ميرا مع الطبيب .....(٦)
ميرا مع شادي .....(٨)
" الفصل الثاني "* مدحت مع امه .....(١٠)
أيمن مع مدحت .....(١١)
أميرة مع أختها ميرا .....(١٣)
حوار مع السيدة عنايات .....(١٥)
الأم مع ميرا .....(١٦)
مكالمة تليفونية بين مدحت ورامى أخيه .....(١٧)
زيارة أميرة لأختها ميرا .....(١٨)
مكالمة تليفونية ميرا مع بنت خالتها هالة .....(١٩)
" الفصل الثالث " يوم المقابلة .....(٢٠)
بعد المقابلة .....(٢٥)
المقابلة الثانية لوضع أسس التعامل بينهما .....(٢٦)
فترة الخطوبة .....(٢٨)
النهاية .....(٣١)
ملخص الأحداث .....(٣٣)